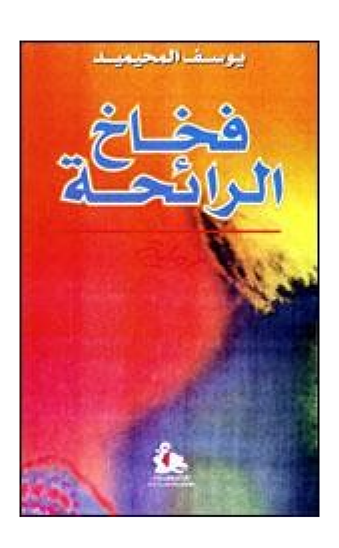
فخاخ الرائحة
يوسف المحيميد



الرواية أعتمدت طريقة " الفلاش باك " أو السرد عن طريق التذكر أو الخيال لثلاثي أبطالها وهم طراد الهارب إلى المدينة ثم منها ..
وعم توفيق ، العبد الذي سبي من أدغال السودان ، ليعيش في نفس المدينة بعد إنتهاء الرق
وناصر عبدالإله .. اللقيط ..
فأحداث القصة في المجمل حدثت في الماضي وسردت عن طريق تذكر أبطالها لتلك الأحداث ..

تحتوي الرواية على خمسة عشر فصلاً وزعت على أبطالها فكان نصيب البطل الأول طراد ستة فصول وهي :
- الفصل الأول وهو بدون عنوان
- سر الغناء الحزين
-عراك طويل
-عراك مع الحرس
-سجناء الرمال
- بطولة الذئب
وخمسة فصول للبطل الثاني توفيق وهي :
- رحلة العذاب الأبدي
- رجولة مسلوبة
- شهوة القمر
- رحلة الأحلام الشائكة
- اكتفاء
والأربعة الفصل الأخرى كانت للبطل الثالث ناصر اللقيط وهي :

-وثائق رسمية
- جسد ناضج كثمرة
- طفولة مستباحة
-الخطيئة والعقاب.

لغة القصة جميلة ولكنها ليست بنفس قوة ما كتبه المحيميد في السابق فعلى سبيل المثال فإن " لغط موتى " ـ وهي روايته السابقة ـ كانت أقوى من ناحية اللغة .. وأشياء أخرى !

" مفاتيح الرواية هي الروائح التي تمكن القبض على مستويات كثيرة من النفسية والاجتماعية عبر الطبقية، العرقية والأخلاقية. حيث تشرّع أبواباً كاملة لتصادم ثنائيات معتلة بذواتها: آسيا وأفريقيا، القبيلة ، والصحراء والمدينة، النجدي والحجازي، بين أن يكون تفاعلها وتلاطمها شرط البيئة الاجتماعية أو الملعب الاجتماعي الذي تجد نفسها تتخذ أدوارها فيه إذ ربما تتغير الشخصيات والأدوار ثابتة.. "

بعض مقاطع من القصة

عد يومين أو ثلاثة وربما أكثر صحوت من الغيبوبة ، كنت مطروحاً فوق فراش إسفنجي ، ومغطى بشرشف أزرق مقلم بجواري قلة ماء وقطن ومايكركروم .
حاولت أن أنهض فعاجلني دوار رهيب سقط على إثره رأسي فوق مخدة الريش المسحوقة .
وخزني في عنقي رأس ريشة كأنه إبره . رفعت يدي وتحسست مخدة الريش وأنا أحلم بكل هذا الريش .
تمنيت أن أغرس هذا الريش في ذراعيّ وأطير .. أطير طويلا ، أطير ناحية

الغرب حتى اصير فوق النيل ؟
حاولت أن أتحرك فشعرت بألم فضيع في مثانتي ، وكانت أم الخير .. ، لا أعرف هل هي أم الخير أم أم الشر ؟
كانت تدخل بزمامها الذهبي في أنفها ، وابتسامتها النادرة ، وهي تردد :
سلامتك يا ولدي توفيق !
وتأخذ قارورة من بين فخذي يتجمع فيها بول أصفر !!
قالت لي أم الخير : ستجد عملاً ممتازاً ، ستتمكن من أن تعمل في القصور ، ستعرف العز ، وسترى النعمة ، وستكون رجلاً ثريا !!
ولكنني لم أصبح ثرياً .. فضلاً عن أني لم أصبح رجلاً !!

الفرق بيننا يا ناصر اللقيط الملقوط ، أنك فقدت عينك بسبب الأذن ، وأنا فقدت أذني بسبب عيني ، عيني التي دمعت في ليل صحراوي ساكن ، فطارت أذني على أثر تلك الدمعة !!
أما أنت فقد طارت عينك بسبب حاسة السمع اللعينة ، فلولا أن أمك " صالحة " كما أسموها لم تغو أباك " عبدالإله " كما أقترحوا هذا الاسم وانصاع لصوتها العسلي الناعم ثم ضاجعها مرارا حتى كنت أنت البذرة ، قبل أن تجد نفسك في تلك الليلة مرمياً في كرتون موز قرب مسجد أبن الزبير فقدت على إثرها عينك اليمنى بسبب ربما كلب أو قطة ضاله وجائعة في ليل المدينة فنهشت عينك دون أن تملك غير الصراخ والبكاء ، تماما كما كنت أنا لم أملك في لليل الصحراء الموحشة غير البكاء وقد طارت أذني اليسرى بسبب دمعة !!
آه يا " طراد " لو حبست هذه الدمعة وحافضت على أذنك في مكانها !!

... رمى إليها ما تبقى في يده ومشى على الرصيف وهو يسب قطط هذه المدينة أيضاً !!
هل تريدني هذه القطة أن أجز لها أيضاً أذني الوحيدة ؟؟ وأرميها لها ؟؟!!
تذكر الموظفين الذين شبهوه بفنان هولندي أسمه فان جوخ قطع أذنه وأهداها إلى حبيبته ..
وأنت يا " طراد " الكلب ستهدي أذنك الوحيدة طائعاً مختاراً إلى قطة سوداء ضالة !!!

بعد أن تأمل أسماء المدن المتراصة في اللوحة الإلكترونية ، وجد أنها لا تختلف عن أي شيء عرفه في حياته ، إنما مدن متشابهه ومتكررة ، مثل وجوه مدرسي المدرسة الليلية التي تعلم فيها القراءة والكتابة ، مثل أشكال السيارات الراقدة في مواقف الوزراة التي كان يقوم بمسحها ، مثل وجوه موظفي الوزراة المتكررة من الوزير حتى موظف الأرشيف ، مثل عباءات النساء السوداء ، مثل الشوارع ، مثل الفناجيل الصينية المزركشة على رفوف غرفة القهوة في الوزارة ، مثل اي شيء في هذه البلاد ..!!!

تأمل " طراد " صورة طفل في الخامسة ، نظر في عينه اليسرى المفقوءة ، بينما التمعت عينه الأخرلا بفعل فلاش الكاميرا ، وهو يشهر السكين بصرخة عالية .
قلب الصورة ، وقرأ : عيد ميلاد ناصر عبدالإله ـ خمس سنوات ـ الدار !

أي عيد ، واي ميلاد أيها السيد النبيل ، أيها الناصر ؟
وهل ثمة أحتفال بيوم تشردك وضلالك ؟ هل تحتفل بيوم مولدك في كرتون موز ملقى في ناصية الشارع ؟ وأنت لا تملك شيئا ؟
في العراء ، ليس سوى عينين صغيرتين ولامعتين ترسلهما نحو السماء المظلمة ، تستجدي السماء أن تدفع عنك خشاش الأرض وهمومها ، ودوابها .. وناسها !!
لكنك لم تجد غير الخذلان والخيبة الأبدية .
أي عيد تحتفل به وقد هاجمتك قطط شرسة وضالة ، لتتعشى بوجبة عينك الرجراجة اللامعة ، فتطير صرخة أبدية فس سماء الله ، لم تصل إلى السماء ، ولم تسمعها أمك ببلوزتها الحمراء ، ولا أبوك بسيارته التويوتا الأجرة ، لم يسمع استغاثتك الذين أخلدوا نوم ثقيل ، ولم تسمعك الأرض كلها ، ولا السماء !!
لم يكترث لك سوى إهتزازة غصن شجرة الكينا الضخمة وهي تستند بكسل إلى سور جامع عبدالله بن الزبير ..!!
آه يا اشجار الكينا والبنسيان والطلح والسدر ، لوحي بأغصانك إلى العالم ، كي يراني !!

وجه " نهار " الذي كان أكثر إمتلاءً تبددت أنحاؤه ، بعد أن نهش الذئب خده الأيسر ، ثم قطف أنفه وسط زعيق يخلع شجر الصحراء حزناً ، زعيق صلّت لأجله الفيافي والخباري والشعاب والأودية ، زعيق مدت لأجله أشجار العوشز هاماتها نحو السماء ، وتضرعت بضعفه الزواحف والعقارب والطيور الحائمة والنائمة في أعشاشها الصخرية .
لكن السماء آنذاك لم تبادر ولم تتحرك ، لقد كانت تغط في نوم عميق ووافر !!